العرب
الإثنين 2020/02/24
السنة 42 العدد 11627

مانغويل في تونس.. والثقافة تنتصر على السياسة

وزارة الثقافة تتذرع بتهمة جائرة والمثقفون ينقذون الموقف بمبادرة مستقلة

أثارت استضافة الكاتب الكندي ألبرتو مانغويل في تونس، مؤخرا، جدلا واسعا في صفوف المثقفين وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، بعد إعلان مؤسسة بيت الرواية التي يرأسها ويديرها الكاتب كمال الرياحي، عن عدم تمكنها من تنظيم لقاء مع هذا الكاتب الكبير إثر قرار وزارة الشؤون الثقافية تأجيل هذا الحدث الأدبي المهم، قبل أيام قليلة من موعده، وإحالة ملف تنظيمه على مكتب وزير الشؤون الثقافية في الحكومة المرتقبة. قبل أن يتمكن المثقفون التونسيون من تأمين الحدث بمجهودات خاصة.

ألبرتو مانغويل في تونس رغم العراقيل (تصوير كريم كمون)

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

أخيرا، وبعد ضجة اهتزت لها الأوساط الثقافية في تونس، واتهمت فيها نخب سياسية بالعرقلة والتعطيل تحت ذرائع واهية تتعلق بالاستحقاق الحكومي، انتظم يوم السبت في المكتبة الوطنية بالعاصمة التونسية اللقاء المرتقب مع الكاتب الأرجنتيني – الكندي ألبرتو مانغويل الملقب بـ"رجل المكتبة"، والذي حاوره الشاعر التونسي آدم فتحي، وسط حضور هام من المثقفين والنقاد وعدد من ممثلي وسائل الإعلام التونسية والأجنبية.

لكن استضافة ألبرتو مانغويل جاءت رغم رفض وزارة الثقافة قبل أيام قليلة من الموعد، رغم موافقتها السابقة.

مثقفون متكاتفون

الحجج التي تستر خلفها وزير الثقافة التونسي في حكومة تصريف الأعمال، محمد زين العابدين، لإعلان رفضه هذا اللقاء الحدث، تبدو -لدى جمهور المثقفين- واهية وخالية من المبررات، تتنصل من المسؤولية وتنزع نحو نوع من الشعبوية الراكضة خلف ركوب موجة محاربة التطبيع التي أطلت برأسها كـ"موضة قديمة" تخلى عنها حتى المتحمسون لها بالأمس القريب، من عرب المشرق والفلسطينيين أنفسهم.

صرحت الباحثة رجاء بن سلامة، مديرة المكتبة الوطنية، بأن تأجيل لقاء مع كبار الشخصيات العالمية على غرار ألبرتو مانغويل، هو بمثابة إلغائه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عبارة "تأجيل" في قاموس مصطلحات البيروقراطية الثقافية في تونس، تعني الصيغة الألطف لقرار الرفض والإلغاء، وذلك لكي لا تُتهم الجهة المعنية بالعرقلة والتجاهل وهما الصفتان اللتان طالما عانت منهما النخبة الثقافية في تونس أيام حكم النظام السابق، ولم تختفيا بل زاد الحديث عنهما في عصر الديمقراطية الناشئة واتساع حرية التعبير والاحتجاج.

واستنكرت بن سلامة قرار وزير الثقافة رفض زيارة هذا الكاتب العالمي باسم "مقاطعة التطبيع" مع إسرائيل، مؤكدة أن ألبرتو مانغويل متعاطف مع الشعب الفلسطيني وليست له أية علاقة بسياسة الدولة العبرية، ولكن "هناك صيد في الماء العكر لفرض السيطرة وفرض قرارات اعتباطية لا يمكن قبولها في تونس ما بعد 2011".

وثمنت بن سلامة اللقاء مع مانغويل، لكونه يعتبر من أحسن من بإمكانهم التحدث عن الكتب فهو عاشق الكتاب والمكتبات، خاصة أنه لا يتحدث فقط عن الأدب وإنما أيضا عن ضيق الروايات، وهو يبقى "مثالا جميلا للمفكر والأديب الحر".

من جهته صرح كمال الرياحي، مدير بيت الرواية في مدينة الثقافة، بأن قرار وزير الثقافة إلغاء الموعد مع ألبرتو مانغويل، ربما "يتنزل في إطار الاستهتار"، مشيرا إلى أنه "لم يحدث في تاريخ تونس مثل هذا التصرف المتلكئ وغير المسؤول"، وقال إن "هناك عودة بعقلية القمع والدكتاتورية وهذا سابقة في تاريخ تونس".

وأشار الرياحي، مدير بيت الرواية، النادي الأدبي الأكثر نشاطا في المشهد الثقافي التونسي، والذي يتخذ من أحد أروقة مدينة الثقافة مقرا له، إلى أنه قد تم تهديده من رئيس مكتب الوزير، وتحميله المسؤولية لكونه "جاء برجل ممنوع من دخول تونس"، الأمر الذي استغربه مدير بيت الرواية، مستشهدا بمجموعة مراسلات موثقة، ومؤكدا أن اللقاء كان مبرمجا في مدينة الثقافة منذ مدة، ولكن بعد قرار الوزير بادر عدد من المثقفين التونسيين بالتكفل بزيارة الكاتب ألبرتو، بإمكانياتهم الخاصة، بينما قام الضيف بتقديم المحاضرة بصفة مجانية.

ويشار إلى أن مديرة دار الكتب الوطنية، كهيئة مستقلة، كانت قد أعلنت في ندوة صحافية عن استضافة هذا الكاتب العالمي في قاعة الطاهر الحداد بمقر المكتبة الوطنية تضامنا مع مؤسسة بيت الرواية التي كانت قد التزمت بتنظيم هذا اللقاء بعد سلسلة من المراسلات الموثقة، تكشف موافقة وزارة الشؤون الثقافية على إقامة هذا الحدث الثقافي الهام، قبل تراجعها عن هذه الموافقة أياما قليلة من موعده.

> كمال الرياحي مدير بيت الرواية والمثقفون التونسيون كسبوا التحدي واستضافوا الكاتب بمجهودات ذاتية

سرير بروكرست

هذا التضامن من دار الكتب الوطنية مع بيت الرواية، يكشف عن شروخ وخلافات بين المسيّس وغير المسيّس في المشهد الثقافي التونسي، أي بين ثقافة محضة يروم أصحابها النشاط تحت سقف الاحتفاء بالإبداع -ولا شيء غير الإبداع- وسياسة ثقافية منشغلة بالحسابات الحزبية والمحاصصات الوزارية.

الاتهام بالتطبيع أصبح بعبعا في تونس، وعصا غليظة يلوح بها نواب محسوبون على التيار العروبي ضد زملاء لهم من الليبراليين والديمقراطيين تحت قبة البرلمان. ويرى عدد كبير من مثقفي تونس أن هذه التهمة الجائرة صارت تشبه قصة سرير بروكرست، التي يظلم فيها صاحب الامتياز السلطوي كل من لم يكن على مقاس سريره فيبتر من أطرافه أو يمددها وفق ما يراه مناسبا لأهوائه ومصالحه.

وتحيلنا مهزلة امتناع وزارة الثقافة التونسية عن استقبال المفكر الأرجنتيني الكندي، بدعوى تعامله مع إسرائيل، إلى ما كان سائدا في سوريا أثناء تسعينات القرن الماضي، إذ احتكر ما يعرف باتحاد الكتاب العرب في دمشق، راية "الذود عن العروبة" وبادر إلى إنشاء مراصد تشبه محاكم التفتيش، وتخوّن كل أصحاب الفكر الحر من الذين يصنعون إبداعا يبتعد عن الشعارات الثورجية، ويرنو إلى قيم إنسانية أكثر رحابة من اجترار ما كان سائدا في الفترتين الناصرية والبعثية.

تزعّم هذه الحملة آنذاك، السوري علي عقلة عرسان، والأردني فخري قعوار، وأصبح الاثنان يضيفان كل يوم أسماء جديدة إلى قائمة "المشتبه بهم" من الكتاب العرب. المضحك المبكي في الأمر أن تلك القائمات السوداء قد شملت خيرة المبدعين العرب بينما اصطف الانتهازيون وضعاف الموهبة إلى جانب عقلة عرسان وقعوار، في مشهد بائس يكرس الوصاية على المثقف، ويعزز سلطة صغار الكتبة في أجهزة المخابرات.

هذه النزعة سرعان ما انحصرت في سوريا ولبنان بعد تطورات إقليمية وضغوطات دولية، ترافقت مع تنامي الوعي لدى جمهور الكتاب والقراء على حد السواء، لكنها اليوم تجد انتعاشا لها في تونس بعد 2011 وتسلل أصحاب الهوى الناصري والبعثي إلى مواقع الضغط والقرار، ونجاحهم في استقطاب مؤيدين بسطاء أو مغفلين، وذلك بعد نفوق النزعة العروبية وإفلاسها في أرضها ومنبتها.

شبح تجريم التطبيع يجعل المتهمين به يحاولون تبرئة أنفسهم عبر مجموعة سرديات تشرح مواقفهم وتعيد التأكيد على معاداتهم للممارسات العنصرية في إسرائيل، فيحيدون عن ذكر مشاريعهم الإبداعية لكي يتحدثوا أمام جمهورهم عن بديهيات إنسانية، وكأنهم في قفص الاتهام.

مانغويل الذي يشاطر مواطنه الكاتب الشهير، الراحل خورخي لويس بورخيس في كون الأدب لا يحمل جنسية ولا يندثر مهما مرت الأزمنة عليه، ويبقى مستمرا في كسر الحدود التي يصنعها العالم، أبدى في لقائه السبت الماضي بجمهور الكتاب والمهتمين، تضامنه مع القضية الفلسطينية قائلا "ونحن بصدد الحديث عن الأدب هناك أطفال يتعرضون للتشرد والإقصاء في العالم مثلما يحدث في فلسطين". وكان مانغويل قد دعا في وقت سابق، وعندما كان يترأس المكتبة الوطنية بالأرجنتين، إلى إنشاء مكتبة وطنية فلسطينية افتراضية بُغية إثبات وجود الفلسطينيين وتخليد تاريخهم وهويتهم المطموسة.

هل تكفي هذه "الطمأنة" حشود المنادين بتجريم التطبيع في تونس، ليتأكدوا من أن الكاتب الذي اخترقت رواياته وكتاباته كل الحواجز اللغوية، وسافر بأعماله إلى سائر أنحاء العالم، ليس "متصهينا" أم أن في الأمر "عنز ولو طارت" خصوصا عند أولئك المتاجرين بالقضية القومية؟

وهل يقبل المزايدون بالوطنية في تونس بمانغويل، ضيفا مبجلا في بلادهم بعد أن أبدى اعتزازه بالهدية الرمزية التي قدمت له على شكل بيتين من قصيدة "إرادة الحياة" لشاعر تونس أبي القاسم الشابي؟ وكذلك قدم له فريق مؤسسة بيت الرواية مجسدا لشخصية "برق الليل"، إحدى روائع الأدب الخالدة للكاتب التونسي الراحل البشير الخريف.

رشيدة التريكي تحلل رهانات حرب الصور.. والصورة تصنع الحدث

أزراج عمر
كاتب جزائري

خضعت الصورة لتحليلات متنوعة من قبل عدد مهم من المفكرين الغربيين إن في القرن العشرين أو في زمننا الحاضر، منها على سبيل المثال تحليل المفكر الفرنسي روجر كيلوا الذي درس دلالة ووظيفة الصورة في سرديات المحاكاة مؤكدا مرارا ضرورة أن يتوفر الشرط القوي للصورة ممثلا في عنصر المفاجأة. كما اهتم الشعراء بالصورة في إبداعاتهم الشعرية وفي هذا الصدد يعتبر النقاد الشاعر الأميركي إزرا باوند عرّاب النزعة التصويرية الهادفة إلى تجاوز سياج "الرومانتيكية" وتكريس "البساطة ووضوح التعبير والدقة من خلال استخدام دقيق للصور البصرية". هذه أمثلة تمهيدية ليست إلا دليلا على عناية الفكر والنقد بحضور الصورة إن في الأدب أو في الوقائع اليومية في العصور الحديثة.

واليوم نجد استخدام الصورة بأساليب متنوعة في الإشهار اليومي بواسطة الملصقات الجدارية في البنايات وفي مترو الأنفاق وعلى الحافلات، وعبر شاشات التلفزة، والسينما ويُراعى في ذلك توظيف بلاغة آليات الإغراء والمفاجأة من أجل استقطاب الناس وقصد ضمان بيع السلع المختلفة بشكل واسع وخاصة في المجتمعات الأكثر رأسمالية، ونجد للصورة أيضا مكانتها في الحروب، والمعمار، والعملات النقدية، والاحتفالات الشعبية والفولكلورية مثلما نجدها على مستوى شبكات الإعلام المرئي التقليدي والأكثر حداثة كما في الإنترنت وفضلا عن ذلك فإن الاهتمام بدراسة دور الصورة من أجل فهم النفسية البشرية يشهد كثافة وتطورا ملفتين في البلدان المتقدمة وبالخصوص في الغرب وذلك من أجل تمكين المعالجين النفسانيين في مصحات العلاج االنفسي من علاج المصابين بالرضات النفسية الخطيرة.

في سياق فتح ملف الصورة واستخداماتها في مختلف المجالات من المفيد أن نتوقف عند ما قامت به الباحثة والأكاديمية رشيدة التريكي، أستاذة الفلسفة بجامعة تونس، في كتابها "الصورة ورهاناتها" بالنظر إلى الصورة كموضوع حيوي يكتسي أهمية بالغة في حياة المجتمعات القديمة والحديثة والمعاصرة، حيث أبرزت أن "الصورة أضحت سلاحا من بين الأسلحة التي تشرّع وتمنع، بل أصبحت تباع وتشترى فتجتمع من أجلها الدول وكأن وضعيتها هي وضعية الأسلحة الاستراتيجية". في هذا الشأن بالذات ترى التريكي أن الصورة ليست مجرد حلية خارجية وإنما "أمست وسيلة ناجعة للسيطرة على المستوى المحلي وعلى المستوى العالمي الخارجي".

بالإضافة إلى ما ذكر آنفا فإنها قد ركزت على قضايا نظرية كثيرة منها ذات الصلة بطبيعة الصورة، والذات والآخر، والصورة في الفن، وسلطة الصورة، والصورة والاستيهام.. كما خصصت الدكتورة رشيدة التريكي فصلا كاملا للنظر التحليلي النقدي في قضية "المسؤولية في صورة الذات وفي صورة الآخر". على ضوء افتراضها لحوار بين جان بول سارتر وبين المثقف المغربي عبدالكبير الخطيبي. وهذا محور أساسي في كتابها هذا ويحتاج إلى نقاش منفرد في وقت آخر.

في سياق آخر نفهم من تحليلات رشيدة التريكي أن الصورة قد اتخذت الآن أبعادا مختلفة أكثر درامية وذلك بعد انفجار ثورة عصر الكومبيوتر والإنترنت، ونظر لذلك نجدها تشدّد على أهمية النظر في الدور الذي لعبته ولا تزال تلعبه الصورة في صنع الأحداث علما أنّ عالمنا المعاصر يشهد في تقديرها سيلا من حروب الصور في مختلف نواحي الحياة اليومية. وهكذا تفيد قراءة كتاب "الصورة ورهاناتها" أن للصورة دلالات عميقة عبر مسار التاريخ البشري، وعلى هذا الأساس فإن تحليل الصورة هو في الوقت نفسه تأويل لحركة الإنسان عبر التاريخ التي لا تنفصل عن تنوع الصور والتي يخلقها أو يلاحظها ويتأملها وهو يحاول أن يفهم وجوده ووجود الآخرين.

ففي تقديرها فإن للصورة تاريخا متوغلا في الحياة الإنسانية قديما وحديثا وحاضرا حيث أنها ما فتئت تمارس "دورها في أحداث العالم لاسيما في النصف الثاني من القرن العشرين" وذلك عندما دخلت بيوت الناس بواسطة التلفاز أولا والإنترنت ثانيا وخاصة خلال المرحلة التي تطورت فيها "تكنولوجيات الصورة وأصبحت متاحة للجميع بواسطة الهاتف الجوال".

وهكذا نجد الأسطورة اليونانية قد قدّمت للبشرية صورة النرجس المولع بعشق صورته التي تنعكس في الماء لحدّ التماهي الكلي معها مما جعله ينشئ معها علاقة التماهي الملتبسة والهوامية غير المطابقة لحقيقة ذاته في العالم ومع الناس، ولقد أولى المعالجون النفسانيون هذا التماهي المرضي اهتماما خاصا وقادهم ذلك إلى البحث عن آليات ناجعة لعلاج الأشخاص المصابين بمرض النرجسية المغلقة.

أما في المجال الديني فإن الدكتورة رشيدة التريكي تشير إلى الصراع حول الصور وما تمثله وتذكر في سياق ذلك تحطيم المسلمين لأصنام الجاهلية، وتعميم المسيحيين لرمزية الصليب.

> الصورة الإشهارية تمارس سلطة شرسة للسوق الذي يبيع ليس المنتجات الاستهلاكية فحسب وإنما أيضا قيما أخلاقية وجسدية

وتمضي التريكي في تحليل طبيعة الصورة وما يمنحها المعنى بالتركيز على مفهومها عند جان بول سارتر الذي يعتبرها "فعلا وليست شيئا"، كما أنها ركزت على توضيح سلطة الصورة وقدرتها على "توجيه أحكامنا"، وتكوين الرأي العام بواسطة "الصور الإشهارية أو صور نشرات الأخبار"، هذا وتلاحظ أن الصورة في مجال الإشهار تمارس سلطة شرسة للسوق "الذي يبيع ليس فقط منتجات الاستهلاك وإنما أيضا قيما أخلاقية جسدية"، وجراء كل هذا يكون دور الصورة أساسيا "في صنع الحدث تمويها أحيانا وتحقيقا له أحيانا أخرى".